



A Critical Discourse Analysis of Mu‘allaqat Based on Van Dyke's Social Cognitive Theory (Case Study: Omar and Harith Suspensions as model)

Mohammad Hassan Amraei

Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Velayat University, Iranshahr, Iran

Article Info

Article type:
Research Article

Received:
05/04/2021
Accepted:
19/06/2021

ABSTRACT

Critical discourse analysis is a new approach to discourse analysis that has been used in recent decades in a wide range of research in the fields of literature and psychology. It is also considered as one of the new trends in linguistics, which reveals the ideological views of the author by infiltrating the substrates and superstructures of texts at all their micro and macro levels and explains the relationship between language, authority and ideology. Although the critical discourse analysis approach prioritizes the relationship between language, power, ideology and discourse, nations' literature can also be analyzed and interpreted in the context of critical discourse and linguistic criticism. In the same respect, the Seven Pendants are among the works that can be studied in the context of critical discourse analysis. It allows the analyst to uncover the relationship between power, ideology, and discourse in this work. Van Dyck's theory is a sociocognitive model that critically analyzes texts and uses various methods to study text and speech strategies and their relationship to social and political spheres. In the same context, the purpose of this article is a socio-cognitive analysis of the comments of Amr and Al-Harith by relying on Van Dyck's ideological quadrant in discourse analysis that examines the subject of the commentators from the perspective of affirming the ego (the self) and marginalizing the other (the censor) Both poets sought to assert their collective honor and prove their tribal dominance over the censor. The final conclusion shows that highlighting the positive points of the ego in both comments has a high frequency compared to highlighting the negative points of the other. Both Amr and Al-Harith were able, through their accompaniment to some linguistic units, to give an acceptable semantic and verbal consistency to the discourse system. Therefore, by emphasizing the meaning of these units, they create a special objective and linguistic unity.

Key words: critical discourse analysis, Van Dijk, Highlightingu, marginalization,

Cite this article: Amraei ,Mohammad Hassan (2022). A Critical Discourse Analysis of Mu‘allaqat Based on Van Dyke's Social Cognitive Theory (Case Study: Omar and Harith Suspensions as model), 1-23. :Vol. 13, New Series, No.47, Spring 2022: pages

DOI: 10.30479/lm.2021.15332.3231



© The Author(s).

Publisher: Imam Khomeini International University

***Corresponding Author:** Mohammad Hassan Amraei

Address: Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Velayat University, Iranshahr, Iran

E-mail: m.amraei@Velayat.ac.ir

تحليل الخطاب النقدي للمعلقات السبع وفقاً لنظرية فان دايك الاجتماعية المعرفية (معلقتا عمرو بن كلثوم والحارث بن

حلزة أنموذجاً)*

محمدحسن أمراي*¹

*أستاذ مساعد في اللغة العربية وآدابها بجامعة ولايت، إيرانشهر، إيران.

معلومات المقالة الملخص

نوع المادة:	مقاله محكمة
تاريخ الوصول:	١٤٠٠/١١/١٦
تاريخ القبول:	١٤٠٠/٠٣/٢٩

إن تحليل الخطاب النقدي هو مقارنة جديدة في تحليل الخطاب تم استخدامه في العقود الأخيرة في مجموعة واسعة من الأبحاث في مجالات الأدب وعلم النفس. كما يُعدُّ من الاتجاهات الجديدة في علم اللغة، والذي يكشف عن وجهات النظر الأيديولوجية للمؤلف عن طريق التسلل إلى الطبقات التحتية والفوقية للنصوص على جميع مستوياتها الجزئية والكليّة ويفسر العلاقة بين اللغة والسلطة والأيديولوجيا. على الرغم من أنّ منهج تحليل الخطاب النقدي يعطي الأولوية للعلاقة بين اللغة والسلطة والأيديولوجيا والخطاب، يمكن أيضاً تحليل أدب الأمم وتفسيره في سياق الخطاب النقدي والنقد اللغوي. في المجال ذاته، تُعدُّ المعلقات السبع من الأعمال التي تمكن دراستها في سياق تحليل الخطاب النقدي؛ حيث يسمح للمحلل بالكشف عن العلاقة بين السلطة والأيديولوجيا والخطاب في هذا العمل. إنّ نظرية فان دايك هي نموذج اجتماعي معرفي يقوم بتحليل النصوص بشكل نقدي وتستخدم فيه أساليب مختلفة لدراسة استراتيجيات النص والكلام وعلاقتها بالمجالات الاجتماعية والسياسية. في السياق ذاته، إنّ الغرض من هذا المقال هو التحليل الاجتماعي المعرفي لمعلقتي عمرو والحارث من خلال الاعتماد على المربع الأيديولوجي لفان دايك في تحليل الخطاب الذي يفحص موضوع المعلقتين من منظور التأكيد على الأنا (الذات) وتهميش الآخر (الريب)؛ حيث سعى كل من الشاعرين لتأكيد شرفه الجماعي وإثبات هيمنته القبليّة على الريب. ويظهر الاستنتاج النهائي أنّ إبراز النقاط الإيجابية للأنا في كلتا المعلقتين له تردد عالٍ بالمقارنة مع إبراز النقاط السلبية للآخر. وتمكن كل من عمرو والحارث من خلال مرافقتهم لبعض الوحدات اللغوية من إعطاء تماسك دلالي ولفظي مقبول لنظام الخطاب. لذلك، من خلال التأكيد على معنى هذه الوحدات، أوجدوا وحدة موضوعية ولغوية خاصة.

كلمات مفتاحية: تحليل الخطاب النقدي، فان دايك، الإبراز، التهميش، المعلقات، عمرو، الحارث.

الاقْتباس: أمراي، محمدحسن (١٤٠١). تحليل الخطاب النقدي للمعلقات السبع وفقاً لنظرية فان دايك الاجتماعية المعرفية (معلقتا عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة أنموذجاً)، مقاله محكمة، السنة الثالثة، الدورة الجديدة، العدد السابع والأربعون، ربيع ١٤٠١: ٢٣-١



المعرف الرقمي: 10.30479/lm.2021.15332.3231

الناشر: جامعة الإمام الخميني الدولية حقوق التأليف والنشر © المؤلفون.

١. المقدمة

إن اللغة، بصفاتها أروع قدرة للإنسان، تميزه عن غيره من الكائنات وتوفر أسباباً للتوغل في أعماق الآخرين والتأثير عليهم. يمكن قوله إن مناقشة اللغة باعتبارها أكثر الخصائص الفريدة للإنسان لها تاريخ طويل. واليوم، يهتم العديد من اللغويين بفهم المجال الوظيفي للغة. إن هم يعتقدون أنه من أجل تحقيق وظائف اللغة في سياقات مختلفة، يجب أولاً فحص خطاب تلك اللغة. يعتقد فان دايك أنه من خلال إبراز النقاط الإيجابية لأننا والنقاط السلبية للآخر وتهميش النقاط السلبية لأننا والنقاط الإيجابية للآخر، يمكن للمرء أن يتغلغل في النظام الفكري للأفراد (Van Dijk, 2006: 121). وهو يفسر هذه السمات الأربعة للخطاب على أنها مربعات أيديولوجية (Van Dijk, 2000: 44) ويصنفها على مستويات مختلفة. يعبر فان دايك، كأحد أبرز المنظرين في مجال تحليل الخطاب النقدي، عن نظرية المربع الأيديولوجي عبر التركيز على أن النظرة الأيديولوجية للعالم يمكن تمثيلها باللغة. يتكون هذا المربع الأيديولوجي من أربعة جوانب وهي: التأكيد على الشخصية الإيجابية للأننا، والتأكيد على الشخصية السلبية للآخر، والتقليل من الميزات السلبية للأننا، والتقليل من الميزات الإيجابية للآخر؛ بحيث يسلط الضوء على السمات المتناقضة للخطابات ويبرر وجود الاستقطاب في المجتمعات. في المجال ذاته، إحدى الظواهر الأدبية للغة العربية في العصر الجاهلي هي المفارقات الشعرية في الشعر العربي و«هي محاوراة كلامية بين اثنين أو أكثر وفيها يتباهى كل من المتفخرين بالأحساب والأنساب ويشيدون بما له من خصال وما قام به من جلائل الأعمال» (الجندي، ١٩٩١م: ٢٦٣)؛ حيث يحاول الشاعر إبراز هويته باستخدام تراكيب لغوية مختلفة بنبرة فخرية ومبالغ فيها. تمكنا رؤية مثل هذا الهيكل في نظام معلقات عمرو والحارث الفخرية التي باتت ناتجة عن صراعات داخلية بين قبيلتين بكر وتغلب. فمن هذا المنطلق، يعترم المؤلف تحليل المعلقتين، استناداً إلى مربع فان دايك الأيديولوجي (٢٠٠٣م) ليكشف عن كيفية تمثيل أيديولوجية الشاعرين الجاهليين المرموقين في السياق الداخلي والخارجي للنص ومعرفة طبقات النص التحتية والفوقية بشكل أعمق. والسؤالات الرئيسة التي تطرح في هذا البحث هي:

- إلى أي مدى تمكنت المعلقتان الفخريتان من إبراز هوية الأننا (الذات) على مستوى الخطاب في مواجهة هوية الرقيب (الآخر)؟

- ما هي أبرز مظاهر إبراز هوية الشاعر (الأننا) على مستوى الخطاب ضد هوية الرقيب (الآخر)؟

- أي مستوى من مستويات خطاب فان دايك فعال في إبراز وتهميش خطاب هاتين المعلقتين؟

١-١. خلفية البحث

هناك دراسات كثيرة لكتاب العرب ونقادهم حول المعلقات السبع، ولا سيما معلقتا عمرو والحارث في شكل المقالات والكتب والأطروحات الجامعية، ومنها:

١. «برسي ساختار دراماتيک شعر جاهلي (با تکیه بر معلقات سبع و دو قصیده از شاعران صعلیک)» وفي هذا المقال الذي طبع في مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد ٣٢، خريف ١٣٩٣ش، قام الباحثان عباس اقبالي وراضيه نظري بتحليل بعض قصائد الجاهلية ووصولاً إلى أن شعر الجاهلية يعتبر مرآة لثقافة الجاهلية من أكثر أنواع الأدب الدرامي أصالة.
٢. «دراسة أسلوية إحصائية للمعلقات السبع في ضوء معادلة بوزيمان معلقة عمرو والحارث نموذجاً» لمحمدحسن أمرائي (١٣٩٩ش). انتشر هذا المقال في مجلة بحوث في اللغة العربية وآدابها المحكمة التابعة لجامعة أصفهان، العدد ٢٣، الشتاء ١٣٩٩ش ويهدف إلى دراسة المعلقتين الفخريتين، على أساس معادلة بوزيمان دراسة أسلوية إحصائية، مبينا مدى أدبيتهما وانفعاليتهما الأسلوية.

٣. «أثر شعر عمرو في قصيدة الفخر في الشعر العربي القديم» مقال للباحث تغريد حسن أحمد عبد العاطي نشر في مجلة كلية الآداب التابعة لجامعة بنها، العدد ٤٠، أبريل ٢٠١٥م. يهدف هذا المقال إلى دراسة شعر عمرو كاملا وعدم الاقتصار على المعلقة وحدها، كما يهدف إلى التدريل على ريادة عمرو في قصيدة الفخر العربية نظريا.

٤. «قراءة سيميائية في معلقة عمرو» غيثاء علي قدارة (٢٠١٩م) منشورة في مجله جامعة البعث، السنة ٢٠١٩ - العدد ٧٩. هدف المقال هذا إلى فتح مغاليق العلامات، والتعرف إلى رموز الإشارات في المعلقة، وصولا إلى ما تضمنه العلامات من أنساق ثقافية تشي برؤى الذات الشاعرة المبنية على أفكار وثقافات.

٥. «مكونات البيئة في العصر الجاهلي -دراسة أنثروبولوجية، معلقة الحارث أنموذجا» مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في ميدان اللغة والأدب العربي للباحث عامر مفاز (٢٠١٥-٢٠١٦م) نشرت في جامعة العربي بن مهيدي -أم البواقي - ودرس الباحث نصوصا شعرية في معلقة الحارث حيث تتجلى وتبرز من ثناياها عناصر هذه البيئة وحضورها في معلقته.

وغيرها من البحوث الأكاديمية القيمة التي لا مجال لذكرها. ولكن فيما يتعلق بالبحث، لا توجد دراسة حول تحليل الخطاب النقدي للمعلقات السبع وفقا لنظرية فان دايك الاجتماعية المعرفية (معلقتا عمرو والحارث أنموذجا) - في حدود ما نعلم -؛ لذلك، تعد هذه الدراسة من الدراسات الأسلوبية المفيدة للقراء؛ إذ إنها تكشف عن خطاب الشعارين ومكوناتها الخاصة والعامه وفقا لنظرية فان دايك الاجتماعية المعرفية (٢٠٠٣م).

٢. الإطار النظري للبحث

١-٢. مقارنة تتون فان دايك

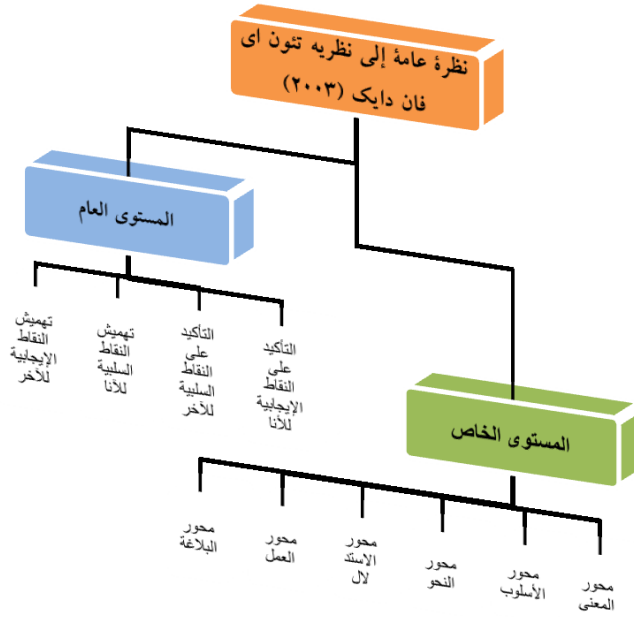
يؤكد فان دايك في التحليل النقدي للخطاب على دور المعرفة والتواصل والتفاعل الاجتماعي عبر إقامة صلة بين المفاهيم الثلاثة للخطاب والمعرفة والمجتمع؛ حيث ابتكر مزيجاً أصبح أساساً للنهج الاجتماعي المعرفي. يشير فان دايك إلى الخطاب هنا على أنه المعنى العام لحدث الاتصال، مثل التواصل وجهاً لوجه، والنصوص المكتوبة، والإيماءات، وحركات اليد والرأس والجسم، والصور، والترقيم، والجوانب السيميائية المتعلقة بالعلامات الدلالية (سلطاني، ١٣٨٤ش: ٥٩). يعتبر فان دايك أن استخدام اللغة، والتواصل بين المعتقدات أو المعرفة، والتفاعل في المواقف الاجتماعية في النهاية هو الأبعاد الثلاثة الرئيسة للخطاب. إنه يعتقد أن استخدام اللغة لا يقتصر على اللغة الشفوية والمنطوقة، بل يمكن أن يمتد أيضاً إلى التواصل والتفاعل واللغة المكتوبة. على سبيل المثال، عندما نقرأ الصحف أو الكتب أو أنواعاً أخرى من النصوص المكتوبة يحدث هذا الاستخدام للغة. فمن هذا المنطلق، إن فان دايك، على غرار العديد من منظري الخطاب، لم يقتصر على اللغة العامية فحسب، بل أولى اهتماماً خاصاً للنصوص المكتوبة في سياق الخطاب. إذ يعتقد أن هناك العديد من أوجه التشابه بين طريقة كتابة الناس وتحدثهم، وينطبق الشيء نفسه على الاستماع إلى النصوص المنطوقة أو قراءة النصوص المكتوبة (يراجع: فان دايك، ١٣٨٢ش: ١٨).

٢-٢. مربع فان دايك الأيديولوجي

إنّ العنوان الذي يعتبره فان دايك لمقاربه هو "تحليل الخطاب الاجتماعي المعرفي"؛ حيث يولي أهمية كبيرة إلى دراسة المعرفة في تحليل الخطاب النقدي ويقترح في منهجه، مثلث "المجتمع والمعرفة والخطاب". وفي هذا المثلث، يعني الخطاب أنه حدث اتصال يتضمن تفاعلات محادثة ونصوص مكتوبة بالإضافة إلى حركات اليد وتعبيرات الوجه والتصاميم المطبوعة والصور وأي دلالات وتمثيلات أو رسوم توضيحية رمزية أو متعددة الوسائط. لذلك فهو يشمل الأفكار والأهداف والتقييمات والمشاعر والسلوكيات وجميع التمثيلات العقلية (ون دايك، ٢٠٠١: ٩٩-٩٩). يعتمد المربع الأيديولوجي لفان دايك على أربع ركائز يستخدمها مؤيدو الأيديولوجية على مستويات مختلفة. هذه الأركان الأربعة هي:

- التعبير عن المعلومات الإيجابية للأنا والتأكيد عليها.
- التعبير عن المعلومات السلبية للآخر والتأكيد عليها.
- التستر على المعلومات الإيجابية للآخر والتأكيد عليها.
- التستر على المعلومات السلبية للأنا وعدم التأكيد عليها.

يوضح المربع الأيديولوجي كيف تخلق المجموعات الاجتماعية صورة أيديولوجية عن نفسها والآخرين من خلال إبراز النقاط الإيجابية لأنفسهم والسلبية للآخرين وأيضاً من خلال تهميش النقاط السلبية لأنفسهم والإيجابية للآخرين وغيرهم (٨٣): (Van Dijk, 2001). إن دراسة معلقتي عمرو والحارث الفخريتين على أساس أسلوب تحليل الخطاب التقدي بإمكانها أن تكشف عن الزوايا الخفية للنص وأيديولوجية الشاعرين في تأليف قصيدتهما الفخريتين بالاعتماد على العوامل والآليات اللغوية. ومن خلال تحليل المربع الأيديولوجي لهاتين المعلقتين، يتم شرح سبب إنتاج النص فيما يتعلق بالعوامل السوسولوجية والتاريخية والاجتماعية. بعد ذلك يرتفع التحليل من مستوى وصف النص للمعلقتين إلى مستوى التفسير، ومن حيث نطاق البحث يتسع نطاق التحليل إلى المستوى الكلي أي المجتمع والتاريخ والأيديولوجيا. وهكذا يخلق نظاماً من الإبرازات والتهميشات؛ يوضحه الرسم البياني التالي:



٣. الإطار التطبيقي للبحث

هنا نتطرق إلى المستوى العام للخطاب في المعلقتين:

٣-١. تسليط الضوء على النقاط الإيجابية الخاصة بالأنا والقبيلة التي ينتمي إليها

إنّ مشهد تنافس شاعري عصر الجاهلية عمرو والحارث، يرمز إلى معارضة تيارين وأيديولوجيين يدعيان كل منهما الهيمنة في خطابهما. وهذا المشهد الشعري يعتبر مواجهة لهاتين الشخصيتين المرموقتين واصطفاهما ضد بعضهما البعض يوم التقاضي

بين يدي عمرو بن هند؛ حيث يسعى كل طرف منهما إلى إضفاء الشرعية على فكره وأيديولوجيه الخاص. في المجال ذاته، إنَّ المربع الأيديولوجي يسלט الضوء على السمات المتناقضة للخطابات ويبرر وجود الاستقطاب بين الأنا والآخر. وبما أنَّ عمرو يعرف أنَّ قوته هي المكانة الاجتماعية لقبيلته، فبالتالي يبرز النقاط الإيجابية لقبيلته وينوي بها التفريق بين هويته الغالبة وهوية الرقيب:

بَنَقْصٍ فِي خُطْبِ الْأُولَيْنَا	فَهَلْ حُدِّثَتْ فِي جُشْمٍ بِنْ بَكْرٍ
أَبَاحَ لَنَا حُصُونَ الْمَجْدِ دِينَا	وَرُنْتَنَا مَجْدَ عَلَقْمَةَ بِنْ سَيْفٍ
زُهَيْمِرًا نَعْمَ دُخْرُ الدَّاخِرِينَا	وَرَنْتُتْ مُهْلَهُلًا وَالْخَيْرَ مِنْهُ
بِهِمْ نَلْنَا تُرَاثَ الْأَكْرَمِينَا	وَعَتَّابًا وَكُلْثُومًا جَمِيعًا
فَأَيُّ الْمَجْدِ إِلَّا قَدْ وَلِينَا	وَمِنَّا قَبْلَهُ السَّاعِي كُلِّيْبٌ

(عمرو، ١٩٩١م: ٧٧)

ومن ناحية أخرى، فإن الحارث، إذ يدرك أساليب إعادة إنتاج الهيمنة في الخطاب، يمارس عملية إنتاج ومعرفة الخطاب في آن واحد عبر التأكيد على نقاطه الإيجابية. فبالتالي تدخل هيمنة اللغة وتؤثر على الهياكل اللغوية ومع عملية فهم الخطاب، فإنه يؤثر على هيمنة عقول المخاطبين (Van Dijk, 2002: 110). إذن فالحارث يحاول التعبير عن نقاط ضعف التغليب وإخفاقاتهم وكشف الستار عن ماضيهم المفعم بالانكسارات بكل ما يحمل من تفاصيل محتجا بالحوادث والبراهين التاريخية الدقيقة، مذكرا شيئا من مفاخر البكرين، قائلا:

إِنْ نَبَشْتُمْ مَا بَيْنَ مِلْحَةَ قَالَ	صَاقِبٍ فِيهِ الْأَمْوَاتُ وَالْأَحْيَاءُ
أَوْ نَقَشْتُمْ فَالْتَقَشْ يَجْشَمُهُ	التَّاسُ وَفِيهِ الْإِسْقَامُ وَالْإِبْرَاءُ
هَلْ عَلِمْتُمْ أَيَّامَ يُنْتَهَبُ التَّاسُ	غِرَارًا لِكُلِّ حَيٍّ عِوَاءُ
لَا يُقِيمُ الْعَزِيمُ بِالْبَلَدِ السَّهْلِ	وَلَا يَنْفَعُ الدَّلِيلُ النِّجَاءُ
لَيْسَ يُنْجِي الَّذِي يُؤَانِلُ مِنَّا	رَأْسَ طَوْودٍ وَحَارَّةَ رَجْلَاءِ

(الحارث، ١٩٩١م: ٢٨-٢٧)

يشير الحارث إلى الحروب التاريخية الحادثة بين قبيلتي بكر وتغلب والموتى والمقابر في هذه الأماكن التاريخية الموسومة بالملحة والصاقب، ويحتج بأنه إن بحثتم عن الحروب التي كانت بيننا وبينهم في هذين الموضوعين وذكرتم الأموات الذين قتلوا في هذين الموضوعين والأحياء الذين أسروا وجرحوا فلنا الفضل عليهم. ثم يخاطب التغلبين فيقول ألا تتذكرون غنائنا في الحروب في تلك الأيام الغابرة التي كان يهاجم فيها الناس بعضهم البعض ويضجون ويصرخون عما حدث لهم من الهجوم والغارة. ونحن هزنا للصوص والقبائل الطاغية وطاردناها؛ حيث إنَّ الشركان شاملا عاما لم يسلم منه العزيز ولا الدليل ولم ينج الهارب منا بفضل تحصنه بالجبل ولا بالحررة الغليظة الشديدة.

٣-٢. تسليط الضوء على النقاط السلبية للآخر

إن عمرو فضلا عن التأكيد على النقاط الإيجابية لقبيلته، يحاول ضمناً إبراز النقاط السلبية للحارث لقبيلته. فيناديهم (يا بني بكر) محلذرا إياهم بالآ تحلم بالمساواة معهم في الكبرياء والعظمة. ثم يتساءل عنهم على سبيل الاستهزاء الإنكاري التقريري: أستم متأكدين من شجاعتنا وروحنا القتالية؟ وهو يتوخى التركيز على عرفانهم بشجاعة التغلبين وأنفهم وعزة نفسهم بحيث لا يمكن تجاهلها:

إِلَيْكُمْ يَا بَنِي بَكْرِ إِلَيْكُمْ
 أَلَمْ تَعْرِفُوا مَتَا الْيَقِينِ
 أَلَمْ تَعْلَمُوا مَتَا وَمِنْكُمْ
 كَتَابَ يَطْعَنَ وَيَزْنِمِينِ
 بَاتْنَا الْمُطْعَمُونَ إِذَا قَدَرْنَا
 وَأَتْنَا الْمُهْلِكُونَ إِذَا ابْتُلِينَا
 وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا الْمَاءَ صَفْوًا
 وَيَشْرَبُ غَيْرَنَا كَدِرًا وَطِينًا

(عمرو، ١٩٩١م: ٨٤)

فيسبق الحارث بما ساقه في قصيدته من وقائع وحروب يعير بها التغلبيين فيعيرهم بقتل اللصوص لهم حين لا قوهم وكان ظن تغلب أنهم ممنعون لا يقدر عليهم أحد فتمنوا لقاء اللصوص وتحققت الأمنية في اللقاء ولم تتحقق في النصر. يقول الحارث:

فَتَأُوتَ لَهُ قَرَابِئَةٌ مِنْ
 قَهْدَاهُمْ بِالْأَسْوَدِينَ وَأَمْرُ اللَّهِ
 إِذْ تَمَنَّوْنَهُمْ غُرُورًا فَسَاقَتْهُمْ
 كُلِّ حَايِي كَأَتَهُمْ الْقَاءُ
 بِأَلْعِ تَشَقَّى بِهِ الْأَشْقِيَاءُ
 إِلَيْكُمْ أُمْنِيَّةٌ أَشْرَاءُ
 لَمْ يَغْرُوكُمْ غُرُورًا وَلَكِنْ
 رَفَعَ الْأَلَّ شَخْصَهُمْ وَالضَّحَاءُ

(الحارث، ١٩٩١م: ٣١)

كما يعيرهم بهزيمتهم من تميم وغيرها ويسخر من تغلب ويلمح إلى أنهم يطلبون الثأر في بكر من كل من هزمهم وقتل منهم، معددا تلك الوقائع التي هزمت فيها تغلب، فيقول:

فَأْتَرُكُوا الطَّيْحَ وَالتَّعَاشِي وَإِمَّا
 أَعْلَيْنَا جُنَاحُ كِنْدَةَ أَنْ يَغْنَمَ
 أَمْ عَلَيْنَا جَرَى إِيَادِ كَمَا نِيَطَ
 تَسْعَاشُوا فِقْصِي التَّعَاشِي السِّدَاءُ
 غَازِيَهُمْ وَمَتَا الْجَرَاءُ
 بِجَوَزِ الْمُحَمَّلِ الْأَعْبَاءُ
 وَلَا جَنْبَدٌ وَلَا الْحَحْدَاءُ
 لَيْسَ مَتَا الْمُضْرَبُونَ وَلَا قَيْسُ
 مِّنْكُمْ إِنْ غَدَرْتُمْ بُرَاءً...

(نفس المصدر: ٣٧-٣٦)

ويبدو أثر هذه الأبيات في توجيه خطاب عمرو إلى الملك عمرو بن هند من إشارة إلى ما اتهمت به تغلب من نقص بقوله:

فَهَلْ حُدَّتْ فِي جُشْمِ بِنِّ بَكْرِ
 بِنْقُصِ فِي خُطُوبِ الْأَوْلِيِّنَا

(عمرو، ١٩٩١م: ٨٠)

في هذه الفقرات الشعرية، نجد الشاعر يصور ترمه من الزمن الذي حمل إليه وإلى قبيلته كثيرا من الأحزان والشجون، فقد انقلب الأصدقاء إلى أعداء يرمونهم بالتهم والأباطيل ويبالغون في ذلك وقد أخلطوا في ذلك بين بريء ومسيء. يتضح أنه من خلال تعداد الأحداث والبراهين التاريخية، ينوي إبراز النقاط السلبية لعمرو وقبيلته ولا ينسى شيئا في هذا المجال.

يقدم عمرو نفسه وقبيلته غير مقهورين؛ ويرى أن أسلافه شجعان في الحرب، بينما يعدد الحارث كثيرا من إخفاقات تغلبين متمثلة بذكر الأشخاص والأمكنة التاريخية المشهورة كـ«جُنَاحُ كِنْدَةَ، جَرَى إِيَادٍ، قَيْسٌ، جَنْدَلٌ، الْحَدَاءُ، جَرَى حَنِيْفَةَ، جَرَى قُضَاعَةَ...» في الفقرات السابقة أعلاه. بينما يخاطب عمرو، عمرو بن هند مفتخرا ببطولاتهم وانتصاراتهم واعتزازهم بخوض المعارك الدامية، متجاهلاً تلك الهزائم التي قد أحصاها الحارث بن حلزة وسجلها في معلقته؛ ولكن يتجاوز عمرو عن هذه الانكسارات التي مني بها قومه التغلبون؛ حيث يقول:

أَبَا هِنْدٍ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا وَأَنْظِرْنَا نَحْنُ نَحْنُكَ الْيَقِينُ
بِأَتَانُ نُورِدُ السَّرَائِبِ بِيضاً وَنُصْـدِرُهُنَّ حُمْراً قَدْ رُوِيْنَا
وَأَيَّامٍ لَنَا غُرِّ طُـوَالٍ عَصِيْبِنَا الْمَلِكِ فِيهَا أَنْ نَدِيْنَا
مَتَّى نَنْقُلُ إِلَى قَوْمِ رَحَانَا يَكُونُوا فِي اللَّقَاءِ لَهَا طَحِينَا

(نفس المصدر: ٧٢-٧١)

من ناحية أخرى، نرى خطاباً يتمتع بقوة أكبر في الخطاب والسياسة والدهاء؛ حيث يدافع فيه الحارث عن قبيلته من خلال تقديم مشاهد حقيقية من دعمهم لقبيلة الملك عمرو بن هند في صراعاتهم الغابرة مع قبيلة تغلب، وتذكيره بالعداوة القديمة بينهم مشحونة بالبعضاء؛ حيث يقشر له العصا وبهذا التكتيك يهشم بعض النقاط السلبية في هويته. ويتجاوز عن خطيئات قبيلته في حروبها مع التغلبين ومنها كلب بن ربيعة التغلبي الذي قتله جساس بن مرة (ابن الأثير، بلاتا، ج١، ص ٥٢٠)؛ وأدت هذه الخطيئة إلى اندلاع الحروب المتوالية بين القبيلتين التي اشتهرت بحرب البسوس في كتب التاريخ واستمرت زهاء اربعين عاما، قانالا:

مَنْ لَنَا عِنْدَهُ مِنَ الْخَيْرِ آيَاتٌ ثَلَاثٌ فِي كُلِّهِنَّ الْقَصَاءُ
آيَةٌ شَارِقُ الشَّقِيقَةِ إِذَا جَاءَتْ مَعَدُّ لِكُلِّ حَيٍّ لِيَوَاءُ
وَحَمَلْنَاهُمْ عَلَى حَزْمِ تَهْلَانِ شِلَالاً وَذَمِيَّ الْأَنْسَاءِ
وَفَكَكْنَا غُلَّ امْرِئِ الْقَيْسِ عَنْهُ بَعْدَ مَا طَالَ حَبْسُهُ وَالْعَنَاءُ
وَوَلَدْنَا عمرو بن أمِّ أناسٍ مِنْ قَرِيْبٍ لَمَّا أَتَانَا الْحِيَاءُ
مِثْلَهَا تُخْرِجُ النَّصِيْحَةَ لِلْقَوْمِ فَلَاةٌ مِنْ دُونِهَا أَفْلَاءُ

(الحارث، ١٩٩١م: ٣٥-٣١)

نجد الشاعر يتجه إلى الفخر الصريح، حيث وجدناه يذكر مناقب قبيلته وشجاعتها في الحروب. ثم يشير إلى صلة قرابته مع الملك، وكان يريد بذلك استمالته لقبول خطابه؛ إلى حيث يستشهد بثلاثة معالم تاريخية في منظور العلاقات التاريخية والسياسية بين القبيلتين. ويسعى لتغيير وجهة نظر عمرو بن هند حتى يحسم الموقف لصالحه ويقتلع أساس الفتنة. إذن فنراه يشبه علاقة القرابة بين هاتين القبيلتين بالصحراويين المتصلتين، أي أن علاقة القرابة بين هاتين القبيلتين واسعة جداً وغير قابلة للاختراق. إذن فلا يمكن لعمرو أن يغير رأي الملك بالنميمة والهراء الغبي عنا بين يديه.

٣-٤. تهميش النقاط الإيجابية للآخر

يتحول استمرار الخطاب التفاخري بين الشاعرين إلى جانب يهشم النقاط الإيجابية لخطاب الرقيب؛ حيث يستخدم عمرو الهياكل اللغوية الحصرية المتمثلة في: (نَحْنُ الْحَاكِمُونَ، نَحْنُ الْعَاظِمُونَ، نَحْنُ التَّارِكُونَ، نَحْنُ الْآخِذُونَ و.... من

الملاحظ أن عمرو يعتبر نفسه وقبيلته الحكام الحقيقيين الذين يعودون من الحرب بالملوك المقيدة بالسلاسل ولكن أبناء عمومته يرجعون بالغنائم الحربية والنساء الأسيرات أي أنهم يفتخرون الأموال ونحن نعف عند المغنم بل نأسر الملوك مفيدين:

وَنَحْنُ الْحَاكِمَةُ إِذَا أُطِعْنَا
وَنَحْنُ الْآخِرُونَ لِمَا سَخَطْنَا
وَكَلَّانَا الْأَيْمِينَ إِذَا تَقَيَّنَا
وَأَبْنَا بِالْمُلُوكِ مُصَفِّدِينَ
وَنَحْنُ الْآخِرُونَ لِمَا رَضِينَا
وَكَلَّانَا الْأَيْسَرِينَ بَنُو أَبِيْنَا
وَأَبْنَا بِالْمُلُوكِ مُصَفِّدِينَ

(عمرو، ١٩٩١م: ٨٣)

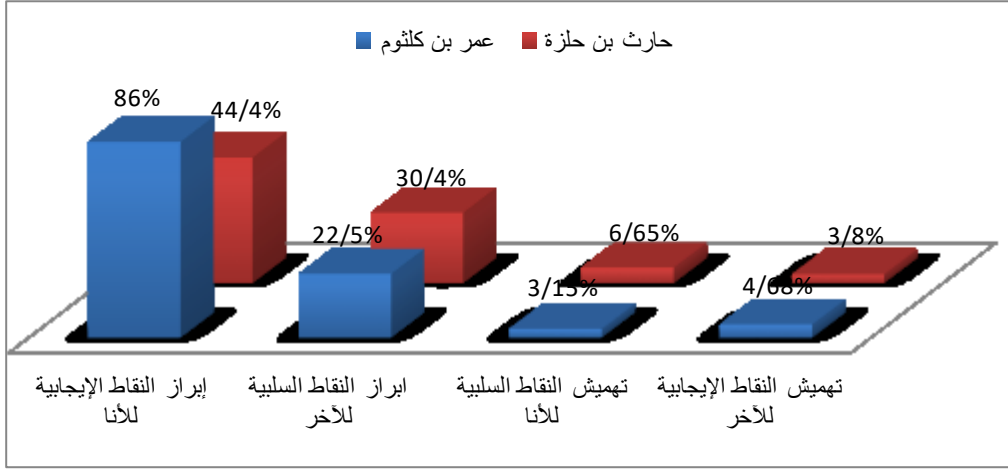
يتضح أن عمر بن كلثوم والحارث بن حلزة كليهما لقد أشادا قصيدتهما الفخريتين في مواجهة بعضهما البعض في حضرة عمرو بن هند للعثور على رأي الملك الإيجابي؛ إذن فكان من الطبيعي أن يحاول كل شاعر متخاصم اللقاء الضوء على صفات قبيلته الإيجابية ويتجاهل ميزات قبيلة الرقيب الإيجابية؛ ولكن من الملاحظ أن عمرو بن كلثوم، بغض النظر عن الصفات الإيجابية الأخرى للبركرين ومؤهلاتهم الحماسية البارزة في هذا المجال، ينحصر كل الصفات الإيجابية في قبيلته فقط لا غيرها؛ حيث يشدد على هذا الانحصار من خلال إضافة «ال» على المسند الجمعي في مفردات كالحاكمين والعازمين و... إلخ. هذا وقد أشار الحارث بن حلزة في معلقته الفخرية إلى الحروب الكثيرة التي هزم فيها التغلبيون وتحدث عن بطولات قبيلته بالإشارة إلى الأحداث والمناسبات التاريخية المستندة التي تنفي أقوال عمرو بن كلثوم في هذا المضمنا.

وفي مجال آخر، نرى الحارث بن حلزة ينكر بطولات عمرو بن كلثوم وقبيلته رغم استحقاقهم للشجاعة والبطولة ويوجه شجاعته الانتقادية إلى التغلبيين، موبخا إياهم بأنهم لم يتمكنوا من الانتقام لدماء من قتلهم الأعداء. فيؤكد على هذه النقطة السلبية للتستر على النجاحات وبطولاتهم القبلية؛ حيث يقول:

مَا أَصَابُوا مِنْ تَغْلِبِي فَمَطْلُولٌ
إِذَا أَحَلَّ الْعَلَاةَ قُبَّةَ مَيْسُونَ
عَلَيْهِ إِذَا أَصِيبَ الْعَفَاءُ
كُلَّ حَيٍّ كَأَنَّهُمْ الْقَاءُ...

(الحارث، ١٩٩١م: ٢٩)

من خلال تطبيق المربع الأيديولوجي لفان دايك على نظام الخطاب في المعلقتين المدروستين، تبين أن كلا الشاعرين يركزان أكثر على إبراز النقاط الإيجابية للأنا. وقلما ينطرقان إلى النقاط السلبية للآخر. بإمكاننا أن نرجع سبب هذا التردد العالي لإبراز النقاط الإيجابية إلى حقيقة أن الفخر هو نوع من الشعر الذي يحاول فيه المؤلف إبراز النقاط التفخيرية الإيجابية أكثر لنفسه بالمقارنة مع توظيف النقاط السلبية للرقيب قدر الإمكان.



٤. المستويات الأساسية للخطاب

ههنا نتطرق إلى المستوى الخاص للخطاب في المعلقتين:

تتيح البصيرة النقدية فهم كيف يمكن تصوير الحقائق بطرق مختلفة باستخدام عناصر لغوية مختلفة وأشكال الخطاب. وكيف يمكن التأثير على أنماط تفكير الأفراد وطريقة إدراكهم للقضايا الاجتماعية، وفي الواقع السيطرة على مواقفهم الفكرية. يمكن القول إن اللغة مؤلفة اجتماعية عملية تتعامل مع الأيديولوجيا والسلطة والتاريخ والمجتمع، ومن ناحية أخرى، فإن السياقات التاريخية وعلاقات القوة والسلطة والمؤسسات الاجتماعية والأيديولوجية تخلق النص والكلام. في المجال ذاته، يحتوي المستوى الخاص والأساسي للخطاب بين الشاعرين الجاهليين في معلقتهما الفخرية على مستويات مختلفة مثل المعنى، والعنوان والتركيبات الشكلية، والقواعد، وأشكال الخطاب والتكافؤ والمقابلة وإنشاء المسافة أو الفاصلة والاستدلال (كسايي ورحيميان، ١٣٩١ش: ٢٢)، نقوم بشرح البعض من المستويات هذه، مع أمثلة على المعلقتين المعنيتين.

٤-١. معنى الخطاب

يعتقد فان دايك أن الأيديولوجيا يمكن أن تظهر في أي مكان في الخطاب، لكن محتوى هذه الأيديولوجية يتجلى مباشرة في المعنى (Van Dijk, ٢٠٠٦: ١٢٨) فهو يقدم جوانب مختلفة من المعنى، بما في ذلك العنوان ومقدار التفاصيل ومستوى وصف والتماسك والتكافؤ والمقابلة وإنشاء المسافة أو الفاصلة [بين الأنا والآخر]

٤-١-١. العنوان

إن العنوان هو بطاقة دعوة للقراءة يلعب دورا كبيرا في إثارة القارئ وجلب انتباهه إلى الموضوع الرئيسي وله دور حاسم في تغطية المعنى أو تقديمه. يمكن أن يظهر المعنى في عنوان الخطاب؛ لأن العنوان مرآة تعكس المعنى الخفي للنص الذي يمثل المخبأ والأيديولوجيا التي تحكم خطاب النص. بدأ عمرو معلقته بعبارات هجومية شاملة تدور على معنى واحد، هو قوة تغلب، وتفوقها المطلق؛ حيث بدأ قصيدته بـ «ألا هبي بصحنك فاصبحينا» فـ«ألا» حرف استفتاح يبدأ به الكلام والغاية من توظيفه هي تنبيه السامع إلى ما سيقوله المتكلم لإثباته وتحققه (الأسترباذي، ١٩٧٥م، ج ٤ ص ٤٢١). فالشاعر يحاول أن يشرع كلامه بالقوة والهجوم والسلطة التي تعتبر لديه أقوى وسيلة لتوصيل وجهات نظره والتأثير على الآخر؛ إذن فراه قد استفاد من الحروف الانفجارية كـ«الهمزة» و«ه» ليدخل موضوعه الرئيسي بحددة وقوة هجومية بالغة في بلاط عمرو بن هند. وفي مجال آخر، عندما نمنع النظر في معلقة الحارث لنلاحظ أنه أطلق على قصيدته عنوان «أذنتنا بينها أسماء» التي تدل على فراق الأعبة وأسف

الشاعر الشديد من هذا الفرق. حيث بدأ معلقته بمصوّت «الف» في «أذنتنا» بمعنى «الاعلان» بالبين الذي تخبرنا عن مصيبة مؤلمة خيبة مفاجئة. وهذا الحرف من الأصوات المجهورة التي فيها الاتّساع والليونة، فتكراره يساعد الشاعر في بيان ما في باله من المصائب والأحزان (أمرائي، ١٣٩٩ش: ١٠٨)؛ كأنه يوحي بالشكوى والصراخ أمام عدوان أبناء عمومته، وفي الواقع يبيّن مدى شعره بالغيظ، ويكشف عن حقيقة مؤلمة تمجّر الانفعالات الكامنة في صدر الشاعر أمام هذا الظلم والطغيان. من الملفت للانتباه، أنّ عناوين معلقتي عمرو والحرث توفر للمتلقّي إطلاً رمزياً من الدال المركزي وتشكل صورته الذهنية لإبرازات النص وتهميشاته. بإمكاننا القول إنّ من خلال فحص الجوانب الخفية لتوظيف كلمات محددة في عنوان كلتا المعلقتين، يمكن للمرء أن يكشف الستار عن بعض حقائق الخطاب والأساليب التي يستخدمها الشاعران لإبراز أنفسهم وتهميش الآخرين.

٤-١-٢. مقدار التفاصيل ومستوى الوصف

يحاول منتج الخطاب التعبير عن المعنى بشكل أوضح من خلال الاهتمام بالتفاصيل والأوصاف المتعددة. إنّ كلتا المعلقتين تتضمنان العناصر والجزئيات الوصفية والتوضيحية التي يتوخى من وراءها كل من الشاعرين المتنافسين تسليط الضوء على إبرازات أنفسهم وقبيلتهما وتهميش إبرازات الآخرين. في المجال ذاته، عندما يفتخر عمرو وبأبائه الماضيين بين يدي عمرو بن هند يركز على الجزئيات والتفاصيل في الخطاب لجعل المعنى وفكرته أكثر وضوحاً؛ حيث يقول:

وَرَثْنَا مَجْدَ عَلْقَمَةَ بْنِ سَيْفٍ أَبَاحَ لَنَا حُصُونَ الْمَجْدِ دِيْنَا
وَرَثْنَا مَهْلَهُمْ أَلَا وَالْخَيْرَ مِنْهُ زُهَيْرًا نَعْمَ دُخْرُ الذَّاخِرِيْنَا
وَعَتَّابًا وَكُلْتُومًا جَمِيعًا بِهِمْ نَلْنَا تُرَاتَ الْأَكْرَمِيْنَا
وَمِنَّا قَبْلَهُ السَّاعِي كُلِّيْبٌ فَأَيُّ الْمَجْدِ إِلَّا قَدْ وَلِيْنَا

(عمرو، ١٩٩١م: ٣٧)

ذكر عمرو بعض التفاصيل من أجل إيضاح مفهوم الفخر بقبيلته وإيصاله القوي إلى أذهان المتلقين، حيث ينوي إثبات تفوق قبيلته فخراً على قبيلة الرقيب عبر ذكر الحمل الوصفية وإحضار الشواهد المؤثرة في هذا المجال. في السياق ذاته، لا يكتفي الشاعر بذكر الافتخارات فحسب بل يحصي كذلك مصادر هذا الاعتداد متمثلة في جزئيات شخصية كجشمه بن بكر وعلقمة بن سيف ومهلهم و... وغيرهم من الأفراد الذين يتيحون فرصة للشاعر أن يتفضل على الآخرين (البكرين) ويتلذذ من ذكر الجزئيات التي يتغذى منها مجده وكبرياؤه.

في ناحية أخرى، يصف الحرث الأحداث التاريخية الكثيرة ويكثر فيها من ذكر التفاصيل التي هزم فيها التغلبيون ونقضوا العهود؛ فإنه من خلال القيام بذلك، ينوي إعلان براءة قبيلته وتقديم قبيلة تغلب كمعتد وجائر تجاوز الحدود؛ حيث يحذرهم من مغبة الانزلاق على دهاليز التجبر والاستبداد والطغيان مذكراً إياهم بنقض عهودهم الغابرة مع البكرين، قاتلاً:

وَأذْكُرُوا حِلْفَ ذِي الْمَجَازِ وَمَا قُدِّمَ فِيهِ الْعُهُودُ وَالْكَفَّاءُ
حَدَرَ الْجَوْرِ وَالتَّعَدِي وَهَلْ يَنْقُضُ مَا فِي الْمَهَارِقِ الْأَهْوَاءُ
أَعْلَمِينَا جُنَاحَ كِنْدَةَ أَنْ يَغْنَمَ غَازِيَهُمْ وَمِنَّا الْجَزَاءُ
أَمْ جَنَائِيَا بِنِي عَتَمِي قِيْنَا مِنْكُمْ إِنْ غَدَرْتُمْ بُرَاءُ
وَمَانُونَ مِنْ تَمِيمٍ بِأَيْدِيهِمْ رِمَاحُ صُدُورُهُنَّ الْقَصَاءُ
تَرَكُّوهُمْ مُلَحِّينَ قَابِوَا بِنَهَابٍ يَصَلُّ مِنْهَا الْحُدَاءُ

(الحرث، ١٩٩١م: ٣٨-٣٦)

يشير الشاعر أولاً إلى معاهدة السلام التي وقعت بين قبيلتي بكر وتغلب في مكان يُدعى "ذو المجاز"، ثم يوبخ التغلبيين لخرقهم هذا العهد واتباعهم المفرط لأهوائهم النفسانية ونوازعهم الدنيوية. في السياق ذاته، يتطرق الشاعر إلى جزئيات الأحداث والحروب التاريخية المهمة التي هُزم فيها التغلبيون، حيث ينوي بذكر هذه التفاصيل إدانة جرائم التغلبيين في طغيانهم وتجاوزهم بالحجج والأدلة التاريخية الصارمة.

٤-١-٣. التماسك والترابط

يبدو أن الحارث قد تمتع بتنوع الأفكار الشعرية واتشارها في مواضع مختلفة، لذلك حاول جاهداً لتحقيق ترابط الشعر وتماسكه، لكن هذه الميزة لم تتحقق لدى عمرو بشكل كامل؛ إذ إن صياغة معلقته مترابطة في بعض الأحيان، ويتم فصلها أحياناً بسبب الاستطراد وانتقال الكلام وخروج فني يأتي بمرونة ليست تدريجية ولا مفاجئة تقرب من الالتفات البلاغي؛ حيث نرى عمرو يفتح معلقته بذكر الخمر؛ بعيداً عن الأطلال:

أَلَا هُبَيْي بِصَاخِنِكَ فَاصْبِحِينََا وَلَا تَبْقِي خُمُورَ الْأَنْدَرِيْنَا

(نفس المصدر: ٣٢)

ثم يفرغ من الكلام السابق وهو الخمر وينتقل إلى موضوع آخر وهو الطعينة في البيت التاسع من معلقته، قائلاً:

قَفِي قَبْلَ التَّفْرِقِ يَا طَعِينِيْنَا نَحْتِي زُرْكَ الْيَقِينِ وَتُخْبِرِيْنَا

(عمرو، ١٩٩١م: ٦٦)

وعلى الرغم من وحدة الخطاب الأثوي منذ البداية، إلا أننا نرى أن المقدمة الحقيقية لمعلقته تبدأ فعلياً بالتحدث عن الطعانن في البيت التاسع من معلقته. ويتفق هذا الرأي مع القول بأن معلقة عمرو أنشئت في أوقات منفصلة ثم جمعها في واحدة، لأنه يستمر حتى البيت السادس والعشرين، ثم في البيت السابع والعشرين ينتقل إلى الموضوع الرئيسي (الفخر) عن طريق التشبيه، قائلاً:

فَأَعْرَضَتِ الْيَمَامَةُ وَأَشْمَخَرْتُ كَأَسِيْفٍ بِأَيْدِي مُصْلِيْنِيْنَا

(نفس المصدر: ٦٠)

ثم يعود إلى الطعانن بعد أكثر من ثلاثين بيتاً. ثم يختم قصيدته برسالة فخر قوية، وهكذا تنقسم بنية شعره بين الخمر والطعينة والفخر وتعود إلى الطعينة ثم تشتد الكبرياء لنفسه ولقبيلته، وهذا الموضوع يزيل بنية القصيدة من التماسك والانسجام المنطقي في الغالب الأعم. أما بناء قصيدة الحارث فإنها تبدو أكثر ترابطاً حيث أجاد تقسيم القصيدة إلى مقدمة وموضوع ولم يعد مرة أخرى إلى حديث المقدمة. ومعلقته تقسمت إلى مقدمة غزلية تبدأ بالوقوف بالديار والبكاء والاستذكار ووصف للناقاة من البيت (١٤-١). ومضمون رئيسي يشمل: تكذيب أقوال التغلبيين (٢٠-١٥)، عدم اكتراث الشاعر وقومه بالوشايات (٣١-٢١)، ومفاخر البكريين (٣٩-٣٢)، ومخازي التغلبيين ونقضهم للسلم (٥٥-٤٠)، واستمالة الملك وذكر العداوة (٦٤-٥٩)، ومدح الملك (٦٨-٦٥)، وخدم البكريين للملك (٨٣-٦٩)، والقراية بينهم وبين الملك (٨٥-٨٤).

٤-١-٤. التكافؤ والمقابلة

التقابل هو رابط دلالي آخر بين الكلمات الموجودة في البعد المعجمي في مجال تحليل الخطاب (فالك، ١٣٧٧: ٣٥٥). لذلك هناك نوع من التشابك اللغوي على جانبي التركيب الذي يتعارض من الناحية المفاهيمية مع بعضها البعض بالتساوي (مويك، ١٩٩٣: ١١٣). لعل تركيب الأبيات عند عمرو يلفت أذاننا إلى ضمائر الجمع والتعبير الجمعي بصورة متكاملة متقابلة في البيت الواحد بقسمة ثنائية بين الشطرين لا تدع مجالاً لمعنى يضاف إلى المعنى المكتمل في البيت، بصياغة تؤكد أن عاطفة عمرو

الجماعيّة، وانفعاله يقدمان صورة بليغة متكاملة (وحدة تركيب الشطرين مع المقابلة في المعنى) ومنها: (يتركون ما يسخطون ويأخذون ما يرضون - كانوا الأيمنين وكان أحلافهم الأيسرين- وصلوا وصال موالوهم - وعاد حلفاؤهم بالنهاب بينما عاد الشاعر وقومه بالملوك مصفدين) (يراجع: عبدالعاطي، ٢٠١٥م: ٣٢). وهكذا انقسم بناء البيت مع الحفاظ على بناء الجملة (نحن + جمع المذكر السالم). يقول:

وَنَحْنُ التَّارِكُونَ لِمَا سَخَطْنَا وَنَحْنُ الْآخِذُونَ لِمَا رَضِينَا
وَكُنَّا الْأَيْمِينَ إِذَا تَقَيَّنَا وَكَانَ الْأَيْسِرِينَ بَنُو أَيْبِنَا

(عمرو، ١٩٩١م: ٨٨)

وفي موضع آخر يقول:

وَأَنَا التَّارِكُونَ إِذَا سَخَطْنَا وَأَنَا الْآخِذُونَ إِذَا رَضِينَا
وَأَنَا الْعَاصِمُونَ إِذَا أُطِعْنَا وَأَنَا الْعَازِمُونَ إِذَا عُصِينَا

(نفس المصدر: ٨٩)

وهنا أيضًا نجد صورة تقابلية تمثل التكافؤ بين الشطرين تمتد على هذه الأبيات، وتحافظ على بناء الجملة (أن + نا + جمع المذكر السالم) وأصبح هذا التركيب بهذا الحشد متصلًا وعمومًا مع الاحتفاظ بالعاطفة الجماعية والارتجال (يراجع: عبدالعاطي، ٢٠١٥م: ٣٢). ولكن في معلقة الحارث، تحدث العلاقة بين المعنى والخيال الفني في بعض المقاطع من خلال المواجهات الدلالية في نظام الخطاب عبر إكساء ثوب الغرابة على الخطاب ومنها: (الأموات والأحياء) و(الإسقام والإبراء) و(العزير والإبراء) و(رأس طود وحرة رجلاء) و... إلخ. هذا التقابل اللغوي له تأثير مباشر على معنى خطاب الحارث في معلقته؛ لأنّ المواجهة يمكن أن تجلب بعض الطبقات الأساسية للمعنى من الأعماق إلى السطح وتسهل فهمها للمخاطب.

٤-١-٥. إنشاء المسافة أو الفاصلة

يخلق مفهوم القوة مسافة أو يلغيها؛ وهذا يعني أنّه كلما زادت القوة بين المرسل والمرسل إليه، زادت المسافة بينهما، وكلما قلت القوة وزاد الارتباط بينهما، قلت المسافة بينهما (Walker, 2011: 362). إنّ استخدام الضمائر بدلاً من الأسماء في اللغة العربيّة، وكذلك استخدام المَعَمَّات مثل الكل، نحن، وال الاستغراق، والذي يستخدم عمومًا لتضمين جملة جميع المعنيين (حيدا، ٢٠١٥: ٦٢) يعتبر إحدى الأدوات المعرفية الاجتماعية في تقديم قطب الأنا والآخر. في المجال ذاته، إنّ عمرو، للإشارة إلى الدال المركزي للخطاب (الفخر)، استخدم معمّات مثل الكل، ضمير نحن وال الاستغراق لإبراز نقاطه الإيجابية وحصر الصفات المطلوبة في ضمير نحن الجماعي. وبمساعدة هذه الأدوات المعرفية، يؤكد على استقطاب نظام الخطاب التفاضري ويخلق فجوات عميقة بين قطبي الإبراز للأنا والتهميش للآخر؛ حيث يقول:

وَنَحْنُ الْحَاكِمُونَ إِذَا أُطِعْنَا وَنَحْنُ الْعَازِمُونَ إِذَا عُصِينَا
وَنَحْنُ التَّارِكُونَ لِمَا سَخَطْنَا وَنَحْنُ الْآخِذُونَ لِمَا رَضِينَا

(عمرو، ١٩٩١م: ٨٣)

نلاحظ أن الشاعر قد ذكر مسند إليه «نحن» وقدمه للتعظيم أو تعينه في مقام المدح في جملة خبرية اسمية يراد بها إظهار الفخر والشجاعة (الهاشمي، 1384، ج ١، ص ٨٦). وكرر ضمير «نحن» تكرارا تاما ثماني مرات باعتبارها ضمير المتكلم الجمعي والذي يفيد تعظيم الذات والذات هنا هي القبيلة التي يمثلها الشاعر فالشاعر بهذا الضمير "نحن" الجماعي عظم قبيلته مفتخرا بها وممجدا لأبطالها، إذ إننا وبنظرة سريعة للمقاطع التي ذكر فيها هذا الضمير نستشف هذا التعظيم.

وفي مجال آخر، يستفيد كذلك من ضمير «نا» و«ال» قائلا:

بِأَنَا الْمُطْعِمُ وَنَ إِذَا قَدَرْنَا وَأَنَا الْمُهْلِكُ وَنَ إِذَا ابْتُلِينَا
وَأَنَا الْمَانِعُ وَنَ لِمَا أَرَدْنَا وَأَنَا التَّازِلُونَ بِحَيْثُ شِئْنَا

(نفس المصدر: ٨٧)

في المقابل، إن الحارث لم يقيم بإيجاد الفاصلة وخلق المسافة بين الأنا والآخر بهذه التقنية التي استخدمها عمرو؛ حيث لم يوظف معتمات مثل الكل، ضمير نحن وال الاستغراق؛ بل نلاحظه يستخدم في قصيدته ضمائر المخاطب للإشارة إلى الدال المركزي (الدفاع ثم الفخر) لإبراز النقاط السلبية لعمرو وقبيلته وتسليط الضوء على نقاطه الإيجابية. وهكذا تحدث عملية الاستقطاب وخلق المسافة بين الذات والآخر في شعر الحارث:

إِن تَبَشُّثُمْ مَا بَيْنَ مَلْحَةٍ قَالِ
أَوْ نَقَشْتُمْ فَالْتَقَشْ يَجْشُمُهُ
أَوْ مَنَعْتُمْ مَا تُسْأَلُونَ فَمَنْ حُدِّ
هَلْ عَلِمْتُمْ أَيَّامَ يُتْتَهَبُ النَّاسُ
صَاقِبٍ فِيهِ الْأَمْوَاتُ وَالْأَحْيَاءُ
النَّاسُ وَفِيهِ الْإِسْقَامُ وَالْإِبْرَاءُ
ثُمَّ مَوَهُ لَهُ عَلَيْنَا الْعَتْلَاءُ
غَوَارًا لِكُلِّ حَيٍّ عُوَاءُ

(الحارث، ١٩٩١م: ٢٨-٢٧)

يسعى الشاعر عبر توظيف ضمائر المخاطب إلى خلق المسافة بينه وبين بني تغلب. وبذلك يقصد خلق الاستقطاب بين الأنا والآخر؛ إلى حيث يعتبر نفسه وقبيلته بريئين تمامًا في قطب الأنا ويعتبرهم مخطئين مذنبين في قطب الآخر.

٤-١-٦. البنية الخبرية

تتكون كل جملة نسمعها أو نقرأها من جزأين يسمى الفاعل والفعل أو المبتدأ والخبر أو الموضوع والمحمول. تخبر كل جملة أخبارًا عن شخص ما أو شيء ما بشكل عام. فالمبتدأ والفاعل في علم النحو يطلق عليهما في علم المنطق (الموضوع) والخبر و الفعل عند النحاة يطلق عليهما في علم المنطق (محمول) (Van dijk, 2006: 130). في المجال ذاته، يسعى محلل الخطاب النقدي إلى إيجاد العلاقة بين الهياكل اللغوية والأيدولوجية الخفية وراء الخطاب حتى يكشف عن كيفية تمثيل الوظائف الاجتماعية للطبقات التحتية من الخطاب في الطبقات الفوقية. تتمثل إحدى هذه الطرق في معرفة بنية خبرية للخطاب ومكوناته، أي الموضوع والمحمول (المصدر نفسه: ١٣٠). يرى فان دايك أن موضوع الخطاب ومحموله هو إعادة إنتاج التفوق الاجتماعي؛ لذلك، يمكن أن تكون مفاهيم مثل السلطة والسيطرة والأيدولوجيا والهيمنة والجنسية والبنية الاجتماعية من بين المفاهيم الأساسية التي تشير إلى الموضوع والمحمول (أعظمي خويرد وعرب يوسف آبادي، ١٣٩٩ش: ١٢٣) في خطاب المعلقات الفخرية؛ يقول:

فَصَالُوا صَوْلَةً فِيمَنْ يَلِيهِمْ
فَأَبُوا بِالْتَّهَابِ وَبِالسَّبَايَا
إِلَيْكُمْ يَا بَنِي بَكْرِ إِلَيْكُمْ
أَلَمْ تَعْلَمُوا مَتَى وَمِنْكُمْ
وَصَلْنَا صَوْلَةً فِيمَنْ يَلِينَا
وَأَبْنَا بِالْمُلُوكِ مُصْقَدِينَا
أَلَمْ تَعْرِفُوا مَتَى الْيَتِيمَا
كَتَابَ يَطْعَنَنَّ وَيَرْتَمِينَا

(عمرو، ١٩٩١م: ٨٤-٨٣)

من ناحية أخرى، يتطرق الحارث إلى خلق الاستقطاب؛ حيث يذكر عيوب قبيلة تغلب وخصائصها السلبية ويبرز نقاط قبيلته الإيجابية ويدافع عنها:

إِنْ إِخْوَانَنَا الْأَرَاقِمَ يَغْلِبُونَ
عَلَيْنَا فِي قَيْلِهِمْ إِخْفَاءُ
يَخْلِبُونَ الْبَرِيءَ مِنَّا بِذِي الـ
لَذَنْبٍ وَلَا يَنْفَعُ الْخَلِيءَ الْخِلَاءُ
رَعْمُوا أَنْ كُلَّ مَنْ صَرَبَ الْعَيْرَ
مُؤَالٍ لَنَا وَأَنَا السُّوَالُ
أَيُّهَا النَّاطِقُ الْمُرْقَشُ عَنَا
عِنْدَ عَمْرٍو وَهَلْ لِدَاكَ بَقَاءُ
لَا تَخْلِنَا عَلَى غِرَاتِكَ إِنَّا
قَبْلُ مَا قَدَّ وَشَى بِنَا الْأَعْدَاءُ

(الحارث، ١٩٩١م: ٢٤-٢٣)

إنّ البنية النحوية المشكّلة من الموضوع والمحمول في الأمثلة المذكورة أعلاه تبرز كيفية استقطاب الأنا مع الآخر بحيث يتكون قطب الأنا في الفقرة الشعرية الأولى من موضوعات (نا- نا- نا- نا)، بشكل أساسي في معارضة موضوع القطب الآخر (و- هم- و- كم- كم- اتم- اتم- كم)، وفي الفقرة الشعرية الثانية يتألف قطب الأنا من موضوعات (نا- نا- نا- نا- نا- نا- نا) وموضوع قطب الآخر يشمل الضمانات: (و- هم- و- و- أنت- أنت- ك- هـ). إنّ المعنى النظر في الموضوعات المستخدمة ليروى أنّ كلا الشعارين قد أنشدا القصيدتين في اتجاهين متعاكسين مع بعضهما البعض، وهذه الازدواجية القطبية في شعرهما واضحة جداً بحيث يمكن رؤيتها في تعدد الضمانات المستخدمة في النص في شكل الأنا الذي قد أدى إلى تشويه هوية الرقيب (الآخر) وتهميشها. وأما فيما يخصّ بالمحمولات أو المسندات في الجمل فينطبق الشيء نفسه عليها، وقد أخذ كلا الشعارين مسندات ثنائية القطب من أجل التفوق على منافسيهما في الأداء. وهكذا، من خلال الآليات المعجمية التي تسيطر على تماسك النص ومعناه، يتم التأكيد على إبراز سمات الأنا الإيجابية مقابل السمات السلبية للآخر.

٤-١-٧. التركيبات الشكلية

يقدم فان دايك الخطاب كشكل من أشكال استخدام اللغة، على سبيل المثال، في خطاب أو حتى بشكل عام، في لغة منطوقة أو طريقة التحدث. يجادل فان دايك بأنّ منتج الخطاب يستخدم الكلمات والأشكال التي تشير مباشرة إلى الأيديولوجية الكامنة وراء الخطاب (Van Dijk, 2002: 92). وفي المجال ذاته، إنّ تشابه البنى الشكلية المستخدمة لإثبات مفهوم الهوية والسلطة يجعل خطاب كلا المعلقين الفخريتين أن يجد أرضية مشتركة ويكون له تصميمات خطاب متشابهة تخضع لعلاقات القوة والأيديولوجيا. إنّ إبراز بعض الكلمات والعبارات في النص كتكرار ضمانات المتكلم الجمعي «نا» (٦٥ مرة) و«نحن» (٨ مرات) يعتبر أحد التركيبات الشكلية لمعلقة عمرو. فهو يسعى إلى توحيد الصفوف والتلاحم الوطني والتماسك الداخلي لقبيلته بـ "الأنا" الجماعي، حيث أدت هذه الضمانات المستخدمة في النص بشكل "الأنا" الجماعي إلى إبراز الميزات الإيجابية للأنا وعمرو وقبيلته) وتشويه هوية الآخر (الحارث وقبيلته) وتهميشها. ومنه ما يقول:

بِأَنَّا الْمُطْعَمُونَ إِذَا قَدَّرْنَا
وَأَنَّا الْمُهْلِكُونَ إِذَا ابْتُلِينَا
وَأَنَّا الْمَانِعُونَ لِمَا أَرَدْنَا
وَأَنَّا التَّالِزُونَ بِحَيْثُ شِئْنَا

(عمرو، ١٩٩١م: ٨٨)

والجمالات الاسمية (٤٦) الدالة على ثبوت واستمرار هذا الفخر والأدوات الحصرية كـ«ال» (٢٠) الداخلة على المسند التي تقيّد الحصر الصفة على الموصوف، مثل ما سبق أو ما جاء في البيت الآتي:

وَنَحْنُ الْحَاكِمُونَ إِذَا أُطْعِمْنَا
وَنَحْنُ الْعَازِمُونَ إِذَا عُصِبْنَا

(نفس المصدر: ٣٢)

وكذلك تكرار ضمائر المخاطب للتهميش الحارث وقيبلته (١٤) وتكرار الصفات السلبية المنسوبة إليهم (٣ مرات) والاستثناءات (٤) و... إلخ. كما وظف الشاعر الأفعال ذات الدلالة السالبة لإبراز النقاط السلبية للحارث وقيبلته، ومنها «فَأَعَجَلْنَا الْقِرَى أَنْ تَسْتَمُونَ، أَلَا لَا يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا، فَجْهَلْ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ، أَلَمَّا تَعْرِفُوا مِنَّا الْيَقِينَ، و...». من جانب آخر، استخدمت التراكيب الشكلية في معلقة الحارث الفخرية أقل تكراراً من معلقة عمرو. ومنها إبراز هوية الشاعر عبر توظيف ضمائر المتكلم الجمعي «نا» (٣٩ مرة) و«نحن» (١ مرة) الذي يدل على اعتداد الحارث بنفسه واستدعائه للمحاربين للدفاع عن قبيلته عبر التركيبات الشكلية الموجودة في معلقته، ومنها ما يكرره من الأنا الجماعي، رداً على جرائم بني تغلب:

إِنْ إِخْوَانِنَا الْأَرَاقِمَ يَغْلُونَ عَلَيْنَا فِي قَيْلِهِمْ إِخْفَاءُ
يَخْلِطُونَ الْبَرِيءَ مِتًّا بِذِي الْـ ذَنْبٍ وَلَا يَنْفَعُ الْخَلِيَّ الْخِلَاءُ
رَعْمُوا أَنْ كُلَّ مَنْ صَرَبَ الْعِيرَ مُوَالٍ لَنَا وَأَنَا السُّوَالُ

(الحارث، ١٩٩١م: ٢٣)

فهو بهذه الفقرة الشعرية يسعى إلى الدفاع الشامل عن قبيلته بـ "الأنا" الجمعي المفعم بالفخر والاعتداد الذي قد أدى إلى تماسك واتحاد قبلي يبرز البراءة للأنا (الحارث وقيبلته) ويسلط الضوء على العدوان السافر للآخر (عمرو وقيبلته)؛ حيث نرى الشاعر ينفي ارتكاب الجرائم المنسوبة إليهم من قبل التغلبين مستخدماً أسلوب الاستفهام الإنكاري؛ فيقول:

أَعْلَيْنَا جُنَاحُ كِنْدَةَ أَنْ يَغْنَمَ غَازِيَهُمْ وَمِنَّا الْجَزَاءُ
أَمْ عَلَيْنَا جَرَى إِيَادٍ كَمَا نِيَطَ بِجَزْوِزِ الْمُحَمَّلِ الْأَعْبَاءِ...

(نفس المصدر: ٣٧)

والجملات الاسمية (٤٣ مرة) التي تدل على إثبات الفخر والاعتزاز وكذلك براءة الحارث وقيبلته من الجرائم المنسوبة إليهم والأدوات الحصرية كـ«تقديم ما حقه التأخير» (١٦ مرة) مثل ما تضمنته العبارات المذكورة أعلاه (علينا) في الفقرة السابقة. وكذلك تكرار ضمائر المخاطب (١١ مرة) وتكرار الصفات السلبية المنسوبة إليهم (١ مرة) لتهميش هويتهم والاستثناءات (٤ مرات) و... إلخ. هذا والحارث وظف الأفعال والصفات ذات العبء الدلالي السالب لإبراز النقاط السلبية لعمرو وقيبلته، ومنها «إِخْوَانِنَا الْأَرَاقِمَ يَغْلُونَ عَلَيْنَا، فِي قَيْلِهِمْ إِخْفَاءُ، يَخْلِطُونَ الْبَرِيءَ مِتًّا بِذِي الذَّنْبِ، وَسَى بِنَا الْأَعْدَاءِ، مَا أَصَابُوا مِنْ تَغْلِيٍّ فَمَظْلُوسٌ، فَاتَّرَكُوا الطَّيْخَ وَالتَّعَاشِيَّ وَ...»

٤-١-٨. أشكال الخطاب

يؤدي وضع الكلمات في محور المجاورة للخطاب إلى تشكيل أشكال الخطاب، والتي تعطي من حيث الإيديولوجي تصميمًا خاصًا للنص (أعظمي خويرد وعرب يوسف آبادي، ١٣٩٩ش: ١٢٣). في كلتا معلقتي عمرو والحارث، فإن تجاور الكلمات في اتجاه إبراز الأنا وتهميش الآخر، لقد جعل وحدات الكلام تصاحب بعضها البعض وتكون فعالة في هيمنة الخطاب. إن مرافقة وحدات مثل: «عَصِينَا الْمَلِكُ، سَدَبْنَا قِتَادَةَ مَنْ يَلِينَا، فَمَا يَدْرُونَ مَاذَا يَتَّقُونَا، فَجْهَلْ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ، نَلْنَا تَرَاتِ الْأَكْرَمِينَ، فَأَيُّ الْمَجْدِ إِلَّا قَدْ وَلِينَا وَ... إلخ»، في معلقة عمرو وتقل المعنى والمفهوم الذي يقصده الشاعر / الفخر والاعتزاز بالنفس وقيبلته. وفي المجال نفسه، فإن مرافقة وحدات مثل: «حَطَبٌ نُعْنَى بِهِ وَنُسَاءُ، إِنَّ إِخْوَانِنَا الْأَرَاقِمَ يَغْلُونَ عَلَيْنَا، وَلَا يَنْفَعُ الْخَلِيَّ الْخِلَاءُ، فَاتَّرَكُوا الطَّيْخَ وَالتَّعَاشِيَّ، حَذَرَ الْجَوْرِ وَالتَّعَدِيَّ، عَنَّا بَاطِلًا وَظُلْمًا، أَعْلَيْنَا جُنَاحُ كِنْدَةَ؟!، أَمْ عَلَيْنَا جَرَى إِيَادٍ؟! و...» في معلقة الحارث، يتماشى أيضاً مع النظام الدلالي للدفاع عن قبيلته ثم الفخر بها المتمثل في مرافقة وحدات مثل: «لَمْ يُغْرَوْكُمْ غُرُورًا، فَرَدَدْنَاَهُمْ بِطَعْنٍ، وَقَعَلْنَا بِهِمْ

كَمَا عَلِمَ اللَّهُ، وَفَكَكْنَا غُلَّ امْرِئِ الْقَيْسِ عَنْهُ، و...» يحتوي هذا التوافق في كلا المعلقتين على رؤية الشاعرين وابدنولوجيهما الخاص للعالم، والتي تضفي الطابع المؤسسي على المادة الخام للتجربة في عالم ذي معنى في ذهن المخاطبين. في الواقع، تمكن كل من عمرو والحارث من خلال مرافقتهم لبعض الوحدات اللغوية من إعطاء تماسك دلالي ولفظي مقبول لنظام الخطاب. لذلك، من خلال التأكيد على معنى هذه الوحدات، أوجدوا وحدة موضوعية ولغوية خاصة.

٤-١-٩. الاستدلال

يحاول منتج الخطاب تقوية كلماته من خلال الاستشهاد بأسباب كافية وأدلة تاريخية من أجل السيطرة على سلطته وأيدولوجيته بهذه الاستراتيجية (Van Dijk, 2006: 133). إن الاستدلال، بالإضافة إلى كونه أحد طرق بناء الثقة في الخطاب، يتشكل أيضاً من أجل تقديم مطالبة ضد الآخر وإثبات هوية الأنا (عشير، ٢٠٠٦: ١٣٦). في معلقة عمرو، قدمت حفنة من الحجج التاريخية لإثبات الادعاءات التي تتماشى مع نقاطه الإيجابية وتهميش نقاط الآخر (الرقيب) الإيجابية، منها ما يقول فيه:

وَنَحْنُ غَدَاةٌ أَوْ قَدْ فِي خَزَايِ
رَقَدْنَا فَوَقَّ رِفْدُ الرَّافِدِيِّنَا
وَنَحْنُ الْحَابِسُونَ بِذِي أَرَاطِي

(عمرو، ١٩٩١م: ٨٢)

حاول عمرو تقوية أقواله بالإشارة إلى أمكنة تاريخية وأدلة واضحة، ليتجاوز بهذه الاستراتيجية، رقيه في السلطة والأيدولوجيا. فإنه من خلال الإشارة إلى مساعدة حلفائهم في ناحية موسومة بـ«خزاي وذي أراطي»، يهدف إلى استعلاء (الأنا) بشكل بارز وتهميش موقف الرقيب (الآخر).

لكن وظيفة الخطاب هذه مختلفة بالنسبة إلى الحارث ونظام خطابه. وحجج الحارث في معلقته أعلى بكثير من حجج عمرو. لأنه أتبع سياسة خاصة معتمدة على البراهين العقلانية التي تتطلب في كل بحث واستقصاء ليستميل بذكرها قلب الملك ويقبض عليه، إذن فتطرق إلى العلاقات التاريخية العريقة بين قبيلته وقبيلة عمرو بن هند عبر تذكر تلك الأحداث التاريخية المشهورة، ومشيروا إلى صلة قرابته بالملك؛ حيث يقول:

مَنْ لَنَا عِنْدَهُ مِنَ الْخَيْرِ
آيَةٌ شَارِقُ الشَّقِيقَةِ إِذَا جَاءَتْ
وَحَمَلْنَا هُمْ عَلَى حَزْمِ تَهْلَانِ
يَبَاتُ ثَلَاثٌ فِي كَلْبِهِنَّ الْقَصَاءُ
مَعَدُّ لِكُلِّ حَيٍّ لِسَوَاءٍ
شِاللَا وَدُومِي الْأَنْسَاءُ
بَعْدَ مَا طَالَ حَبْسُهُ وَالْعَنَاءُ
مِنْ قَرِيبٍ لَمَّا أَتَانَا الْحِيَاءُ
فَلِلَّهِ تَخْرُجُ النَّصِيحَةُ لِلْقَوْمِ

(الحارث، ١٩٩١م: ٣٥-٣١)

ومن ناحية أخرى، نراه يشير إلى أماكن وأزمنة تاريخية مختلفة تكشف عن إخفاقات بني تغلب، وتذكرنا تفاصيلها التاريخية المحفورة ولكن المستندة والدقيقة، قائلا:

أَعْلَيْنَا جُنَاحٌ كِنْدَةٌ أَنْ يَغْنَمَ
عَازِيَهُمْ وَمِنَّا الْجَزَاءُ
أَمْ عَلَيْنَا جَرَى إِيَادٍ كَمَا نِيَطُ
بِعَجْوِزِ الْمُحَمَّلِ الْأَعْبَاءُ
أَمْ جَنَائِبًا بَنِي عَتِيْقٍ فَإِنَّا
مِنْكُمْ إِنْ غَدَرْتُمْ بُرَاءُ

وَمَأْنُونَ مِنْ تَمِيمٍ بِأَيْدِيهِمْ
رِمَاحٌ صُدُّوهُنَّ الْقَضَاءُ
أَمْ عَلَيْنَا جَرَى قُضَاةٌ أَمْ لَيْسَ
عَلَيْنَا فِي مَا جَنَوْنَا أَنْدَاءُ
وَهُوَ الرَّبُّ وَالشَّهِيدُ عَلَى يَوْمِ
الْحَيَارَيْنِ وَالْبَلَاءِ بَلَاءُ

(نفس المصدر: ٣٧-٣٦)

النتائج

وفقاً لمربع فان دايك الأيديولوجي، تبين أنّ كلا الشاعرين عبر خلق الاستقطاب الجماعي بين الأنا والآخر، يركزان أكثر على إبراز النقاط الإيجابية للأنا. ولما يتطرقان إلى النقاط السلبية للآخر. بإمكاننا أن نرجع سبب هذا التردد العالي لإبراز النقاط الإيجابية إلى حقيقة أنّ الفخر هو نوع من الشعر الذي يحاول فيه المؤلف إبراز النقاط التفاخرية الإيجابية أكثر لنفسه بالمقارنة مع توظيف النقاط السلبية للريب.

استناداً إلى مربع فان دايك الأيديولوجي، إنّ الأنا الفردية عند كلا الشاعرين الجاهليين قليل وجودها في خطابهما بالمقارنة إلى الأنا الجماعية التي تدل على الانسجام والاتحاد والتماسك القبلي.

بدأ عمرو عنوان معلقته بعبارات هجومية شاملة تدور على معنى واحد، هو قوة تغلب، وفوقها المطلق. ولكن عنوان معلقة الحارث يوفر للمتلقي إطاراً رمزياً من الدال المركزي وهو الدفاع ثم الفخر.

إنّ تجاوز الكلمات في اتجاه إبراز الأنا وتهميش الآخر في كلتا المعلقتين، لقد جعل وحدات الكلام تصاحب بعضها البعض وتكون فعالة في هيمنة الخطاب. في الواقع، تمكن كل من عمرو والحارث عبر مرافقتهم لبعض الوحدات اللغوية من إعطاء تماسك دلالي ولفظي مقبول لنظام الخطاب.

إنّ تشابه البنى الشكلية جعل خطاب كلا المعلقتين ذا أرضية مشتركة له تصميمات متشابهة تخضع لعلاقات القوة والأيديولوجيا. ولكن هذه التراكيب الشكلية في معلقة الحارث الفخرية أقل تكراراً من معلقة عمرو.

وظف عمرو الأفعال والصفات ذات الدلالة السالبة لإبراز النقاط السلبية للحارث وقبيلته كما استخدم الأفعال والصفات ذات العبء الدلالي السالب لإبراز النقاط السلبية لعمرو وقبيلته. وهذا التراكيب الشكلية في معلقة الحارث الفخرية أقل تكراراً من معلقة عمرو.

بينت الدراسة أنّ الخصومة القائمة بين القبيلتين (تغلب وبكر) هي السبب الرئيس في كثرة الوسائل الحجاجية في معلقتي الشاعرين، فقد حاول الحارث أن يرد على ادعاءات عمرو غير الصحيحة عبر الآليات الحجاجية الكثيرة والمتنوعة.

المصادر والمراجع

المصادر العربية

- ابن الأثير، عز الدين (بلاتا)، الكامل في التاريخ، ج١، بيروت: دار صادر ودار بيروت.
- الأسترباذي، رضي الدين (١٩٧٥م)، شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب، ج٤، تحقيق وتصحيح وتعليق: أ. د. يوسف حسن عمرو، ليبيا: جامعة قار يونس.

- أمراثي، محمد حسن (١٣٩٩م)، «دراسة أسلوبية إحصائية للمعلقات السبع في ضوء معادلة بوزيمان معلقة عمرو والحارث أنموذجا»، مجلة بحوث في اللغة العربية وآدابها المحكمة التابعة لجامعة أصفهان، لمجلد ١٢، العدد ٢٣ - الرقم المسلسل للعدد ٢٣، الشتاء، صص ١٧٩-١٩٦.
 - امرأثي، محمد حسن (١٣٩٩ش)، «المؤشرات الأسلوبية والدلالية في الخطبة الحادية عشره بعد المائة للإمام علي (ع)»، دراسات في العلوم الإنسانية، دوره ٢٧، سال ١٤٤٢ق، شماره ٢، صص ٩٧-١٢٦.
 - تغريد حسن أحمد عبد العاطي (٢٠١٥م)، «أثر شعر عمرو في قصيدة الفخر في الشعر العربي القديم»، مجلة كلية الآداب التابعة لجامعة بنها، العدد ٤٠، أبريل، صص ٢٠٥-٢٥٤.
 - الجندي، علي (١٩٩١م)، في تاريخ الأدب الجاهلي، مكتبة دار التراث الطبعة: طبعة دار التراث الأول.
 - الحارث (١٩٩١م)، الديوان، جمعه وحققه وشرحه إميل بديع يعقوب، ط ١، بيروت: دارالكتاب العربي.
 - حيداء، سميرة (٢٠١٥م)، «أسلوب الاستغراق والشمول: مغني اللبيب نموذجا». جامعة مستغانم: حوليات التراث. السنة ٩. العدد ١٥. صص ٦١-٧٢.
 - عشير، عبدالسلام (٢٠٠٦م)، عندما تواصل نغيت: مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج. ط ١. المغرب: إفريقيا الشرق.
 - عمرو (١٩٩١م)، الديوان، جمعه وحققه وشرحه إميل بديع يعقوب، ط ١، بيروت: دارالكتاب العربي.
 - قادرة، غيثاء (٢٠١٩م)، «قراءة سيميائية في معلقة عمرو»، مجله جامعة البعث، العدد ٧٩، صص ٤٥-٧٦.
 - مفاز، عامر (٢٠١٥-٢٠١٦م)، مكونات البيئة في العصر الجاهلي -دراسة أثرولوجية- معلقة الحارث أنموذجا، تحت إشراف راضية عداد، جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي - كلية الآداب و اللغات، قسم اللغة والأدب العربي.
 - مويك، سي (١٩٩٣م). المفارقة وصفاتها. ترجمة: لؤلؤة، عبدالواحد. ط ١. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
 - الهاشمي، أحمد (١٣٨٦ش)، جواهر البلاغه، ط ٣، قم: نشر بلاغت.
- ### الفارسية
- اعظمی خویرد، حسن وعبدالباسط عرب یوسف آبادی (١٣٩٩ش)، «تحليل اجتماعي - شناختي گفتمان نقایض جریر و اخطل بر اساس مربع ون دایک»، ادب عربی، دوره ١٢، شماره ٢، صص ١٠٩-١٣٢.
 - سلطانی، علی اصغر (١٣٨٤ش). «تحليل گفتمان به مثابة نظريه و روش». دانشگاه باقر العلوم: علوم سیاسی. دوره ٧. شماره ٢٨. صص ١٥٣-١٨٠. ١٣٨٤ش.
 - فالک، جولیا اس (١٣٧٢ش)، زبان شناسی و زبان. ترجمه: غلامعلی زاده، خسرو. ج ٢. مشهد: آستان قدس
 - کسای، علیرضا و جلال رحیمیان (١٣٩١ش)، «بررسی کتاب اندیشه اسلامی ١ از دید تحلیل گفتمان انتقادی». دانشگاه شیراز: اندیشه دینی. دوره ١٤. شماره ٢. صص ١٣١-١٥٣.
 - وان دایک، تون (١٣٨٢ش)، مطالعاتی در تحلیل گفتمان: از دستور متن تا گفتمان کاوي انتقادی، ویراستار مهراں مهاجر محمد نبوي، تهران: مرکز مطالعات و تحقیقات رسانهها.

- اقبالي، عباس وراضيه نظري (١٣٩٣ش)، «برسي ساختار دراماتيک شعر جاهلي (با تکیه بر معلقات سبع و دو قصيده از شاعران صعالیک)»، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد ٣٢، خريف، صص ٦٥ - ٧٨.

الإنجليزية

- Van Dijk, T. A. «Ideology and Discourse Analysis». Journal of Political Ideologies. 11(2), 115-140. 2006.
- Van Dijk, T. A. Ideology and Discourse: a Multidisciplinary Introduction. PamperFabra University press, Barcelona. 2000.
- Van Dijk, T.A. Principles of Critical Discourse Analysis: in Critical Discourse Analysis, (ed.) M. Toolan, London: Routledge. 2002.
- Walker, V. «Codeswitching as a power and solidarity strategy in the foreign language classroom: an analysis of language alternation strategies utilized in a Portuguese-English higher education class». Innervate. Vol 3. PP. 362.363. 2011.

References

- Ibn al-Atheer, Izz al-Din (Plata), al-Kamil fi al-Tarikh, part 1, Beirut: Dar Sader and Dar Beirut.
- Al-Astrabadi, Radhi Al-Din (1975 AD), Al-Radhi's Commentary on Al-Kafia by Ibn Al-Hajeb, Volume 4, Editing, Correction and Commentary: a. Dr.. Youssef Hassan Amr, Libya: Qar Younis University.
- Eqbali, Abbas and Razia Nazari (1393 st), "Barasi will choose a dramatic pre-Islamic poetry (Ba Tekeh Bar Mu'alaqat Sab' and Du's Poem is a Poet of Two Braves)", Journal of the Iranian Scientific Society of Arabic Language and Literature, No. 32, Autumn, pp. 65-78.
- Amiri, Muhammad Hassan (1399 AD), "a statistical stylistic study of the seven suspensions in the light of Bozeman's Susquent Amr and Al-Harith equation as a model", Journal of Research in Arabic Language and Literature of the University of Isfahan, Volume 12, Issue 23 - Serial Number of Issue 23, Winter, pp. 179 - 196 .
- . Imra'i, Muhammad Hassan (1399 A.D.), "Stylistic and Semantic Indications in the One Hundred and Eleventh Sermon of Imam Ali (peace be upon him)", Studies in the Human Sciences, 27th session, Sal 142 BC, Shamara 2, pp. 97-126.
- Taghreed Hassan Ahmed Abdel-Aty (2015 AD), "The Impact of Amr's Poetry in the Poem of Pride in Ancient Arabic Poetry", Journal of the Faculty of Arts of Benha University, Issue 40, April, pp. 205-254.

- Al-Jundi, Ali (1991 AD), on the history of pre-Islamic literature, Dar Al Turath Library Edition: Dar Al Turath Edition I.
- Al-Harith (1991 AD), Al-Diwan, compiled, verified and explained by Emil Badi' Yaqoub, 1st Edition, Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi.
- Haida, Samira (2015 AD), "The method of immersion and inclusion: Mughni al-Labib as a model." University of Mostaganem: Annals of Heritage. year9. Issue 15. pp. 61-72.
- Asher, Abd al-Salam (2006 AD), When We Communicate, We Change: A Cognitive Pragmatic Approach to Communication Mechanisms and Pilgrims. i 1. Morocco: Africa, the East.
- Amr (1991 AD), Al-Diwan, compiled, verified and explained by Emil Badi Yaqoub, 1st Edition, Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi.
- Qadra, Ghaithaa (2019 AD), "A semiotic reading in Amr's suspension", Al-Baath University Journal, No. 79, pp. 45-76.
- Mafaz, Amer (2015-2016 AD), The components of the environment in the pre-Islamic era - an anthropological study, Al-Harith commentary as a model, under the supervision of Radhia Adad, Larbi Ben Mhidi University - Umm El Bouaghi - Faculty of Arts and Languages, Department of Arabic Language and Literature.
- Muek, C (1993 AD). Paradox and its qualities. Translation: Pearl, Abdul Wahed. i 1. Beirut: The Arab Foundation for Studies and Publishing.
- Al-Hashimi, Ahmad (1386 A.D.), Jawaher Al-Balagha, 3rd Edition, Qom: Balaghat Publishing.
- Azami Khuwayrd, Hassan and Abd al-Basit Arab Yousefabadi (1399 A.D.), "Social Analysis - Shenakhty Gaftman Naqid Jarir and Akhtal on the basis of Wendyek Square", Arabic literature, session 12, Shamara 2, pp. 109-132.
- Soltani, Ali Asghar (1384 A.D.). "Gaftman's analysis is a theory and a rush". Daneshgah Baqir Al-Ulum: Political Science. Cycle 7. beep 28. pp. 153-180. 1384 st.
- Falk, Julia S (1372 st), Zbanshnasi and Zabban. Translated by: Gholamalizadeh, Khosrow. C2. Mashhad: Astan Quds.
- Kasaiyi, Alireza and Jalal Rahimian (1391 A.D.), "Parsi, an Islamic language book 1 Az-Dayd, a critical analysis of Gaftman." Daneshgah of Shiraz: Religious Debate. cycle 14. beep 2. pp. 131-153.
- Wan Dyck, Toon (1382 st), My Readings in Gaftman Analysis: The Constitution of a Critical Text of Ta Gaftman Kawi, Werastar Mehran Mohajer Muhammad Nabawi, Tehran: Center for Studies and Rasanha Investigations.

- Van Dijk, T. A. «Ideology and Discourse Analysis». Journal of Political Ideologies. 11(2), 115-140. 2006.
- Van Dijk, T. A. Ideology and Discourse: a Multidisciplinary Introduction. PamperFabra University press, Barcelona. ٢٠٠٠.
- Van Dijk, T.A. Principles of Critical Discourse Analysis: in Critical Discourse Analysis, (ed.) M. Toolan, London: Routledge. 2002.
- Walker, V. Codeswitching as a power and solidarity strategy in the foreign language classroom: an analysis of language alternation strategies utilized in a Portuguese-English higher education class. Innervate. Vol 3. PP. 362.363. 2011.

تحلیل گفتمان انتقادی معلقات سبع بر اساس نظریه شناختی اجتماعی ون دایک

(مطالعه موردی: دو معلقه عمرو و الحارث)*

محمدحسن امرائی^۱ ID*

*استادیار، گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه ولایت، ایرانشهر، ایران.

اطلاعات مقاله چکیده

نوع مقاله:

مقاله پژوهشی

دریافت:

۱۴۰۰/۰۱/۱۶

پذیرش:

۱۴۰۰/۰۳/۲۹

تحلیل گفتمان انتقادی، رویکرد جدیدی در تحلیل گفتمان است که در دهه‌های اخیر در طیف وسیعی از تحقیقات در زمینه های ادبیات و روانشناسی مورد استفاده قرار گرفته است. همچنین یکی از گرایش‌های جدید زبان‌شناسی محسوب می‌شود که با نفوذ به لایه‌های زیرین و زبرین متون در تمام سطوح خرد و کلان، دیدگاه‌های ایدئولوژیک نویسندگان را آشکار می‌کند و رابطه بین زبان، اقتدار و ایدئولوژی را توضیح می‌دهد. اگرچه رویکرد تحلیل گفتمان انتقادی رابطه بین زبان، قدرت، ایدئولوژی و گفتمان را در اولویت قرار می‌دهد، اما ادبیات ملت‌ها نیز می‌تواند در متن گفتمان انتقادی و نقد زبانی تحلیل و تفسیر شود. از همین لحاظ، معلقات سبع از جمله آثاری است که می‌تواند در زمینه تحلیل گفتمان انتقادی مورد مطالعه قرار گیرد. این موضوع، به تحلیلگر اجازه می‌دهد تا رابطه بین قدرت، ایدئولوژی و گفتمان را در این اشعار کشف کند. نظریه ون دایک یک مدل شناختی اجتماعی است که متن‌ها را به صورت انتقادی تحلیل می‌کند. تا جایی که از روش‌های مختلف تحلیل گفتمان برای مطالعه متن و استراتژی‌های گفتار و ارتباط آنها با حوزه‌های اجتماعی و سیاسی استفاده می‌کند. در همین زمینه، هدف این مقاله تحلیل اجتماعی شناختی دو معلقه عمرو بن کلثوم و حارث بن حلزّه با تکیه بر مربع عقیدتی ون دایک در تحلیل گفتمان است که موضوع دو معلقه را از منظر تأیید منیت (خود) و به حاشیه بردن دیگری (رقیب) بررسی می‌کند. هر دو شاعر، تلاش کردند عزت فردی و جمعی خود را به اثبات برسانند و سلطه فردی و قبیله‌ای خود را بر رقیب ثابت کنند. نتیجه‌گیری نهایی نشان می‌دهد که برجسته کردن نکات مثبت خود در هر دو معلقه نسبت به برجسته کردن نکات منفی دیگری دارای بسامد بالاتری است. عمرو و حارث هر دو توانستند از طریق همراهی با برخی واحدهای زبانی، سازگاری معنایی و کلامی قابل قبولی به سیستم گفتمان بدهند. بنابراین با تأکید بر معنای این واحدها، وحدت زبانی و عینی خاصی ایجاد می‌کنند.

کلمات کلیدی: تحلیل گفتمان انتقادی، ون دایک، برجسته‌سازی، حاشیه‌رانی، معلقات، عمرو بن کلثوم، حارث بن حلزّه.

استناد: امرائی، محمدحسن. (۱۴۰۱). تحلیل گفتمان انتقادی معلقات سبع بر اساس نظریه شناختی اجتماعی ون دایک

(مطالعه موردی: دو معلقه عمرو و الحارث)، سال سیزدهم، دوره جدید، شماره چهل و هفتم، بهار ۱۴۰۱: ۲۳-۱.

DOI: 10.30479/lm.2021.15332.3231



حق مؤلف © نویسندهگان.

ناشر: دانشگاه بین‌المللی امام خمینی (ره)